المحاضرة الثانية: الحضارة الإنسانية: مفهومها ومجالها

الجزء الأول: مدخل إلى دراسة الحضارات.

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد، فسنتحدث في هذه المحاضرة عن تعريف الحضارة، وأهمية الحضارات وأنواعها.

أولا. التعريف ببعض المصطلحات في الحضارة:

إنه لمن الأدواتِ اللازمةِ للشروع في دراسة أي علم من العلوم معرفةُ القدر الضروري من مصطلحاته؛ وذلك لأنَّ المصطلحَ العلمي يمثلُ اللغة الفنية الخاصة بكلّ علمٍ من العلوم، والتي يستخدمها أصحابُ هذا العلم في التعبير عن قضاياهم وأفكارهم، وربما استغلقتْ على غيرهم، ولكن ضرورات البحث العلمي المتخصص ومقتضياته استوجبتْ نشوء هذه اللغة القائمة على العُرف الخاصِ والاتفاق والمواضعة بين أصحاب كل فنٍّ أو علم في مجال تخصصهم[1].

إذن لمعرفة المصطلح أهمية بالغة وضرورة ملحة لفهم المعاني والمراد بها، كما تيسر لنا الوقوف على مراد المتكلم، ويجنبنا الوقوع في الخلاف والشقاق. فالمصطلحات ضرورة علمية، ووسيلة مهمة من وسائل التعليم ونقل المعلومات، وقد أصبحت لضرورتها تمثل جزءاً مهماً في المناهج العلمية، مساعدة على حسن الأداء، ودقة الدلالة.

أ–مفهوم الحضارة: مفهوم الحضارة لغة الحضارة لغةً تعني الحضر أي عكس معنى البداوة، وهي الإقامة في الحَضَر، تدل على نوع خاص من الحياة والرقي بالإضافة إلى الاستقرار. والحَضَر والحَضْرة والحاضرة والحضارة– بفتح الحاء وكسرها– وهي المدن والقرى والريف، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار

1– أنور محمود زناتي، معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، دار زهران للنشر، الأردن، 1985م، ص:8.

ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرارهم وحين تُذكر الحضارة في اللغة فإنّه يقصد بها ما هو عكس البداوة، أي سكنى المدن والقرى.

أما بالنسبة للحضارة اصطلاحا هي:"الرقي في شتى مجالات الحياة العلمية، والفنية، والأدبية، والاجتماعية، والاقتصادية في الحَضر" وبعبارة أخرى أكثر شمولاً، هي:"الحصيلة الشاملة للمدنية، والثقافة، والفكر، ومجموع الحياة، في أنماطها المادية والمعنوية" ولهذا كانت الحضارة هي: الخطة العريضة التي يسير فيها تاريخ كل أمة من الأمم، ومنها الحضارات القديمة، والحضارات الحديثة والمعاصرة.... ومنها الأطوار الحضارية الكبرى، التي تصور انتقال الإنسان أو الجماعات، من مرحلة إلى مرحلة.

توجد في اللغة العربية عدة مصطلحات مقاربة لمصطلح الحضارة مثل: الثقافة(Culture) والمدنية (Civilization)

يبدأ الإنسان في تشييد حضارته بمجرد انتهاء الخوف والحروب والمعارك وانتشار الأمن والأمان.

وردت تعريفات اصطلاحية للحضارة كلها قريبة من بعضها نكتفي منها بما أوردناها، ولكنّ هذا المعنى أخذ يتغيّر بعد قليل، حين انتشر المصطلح في اللغات الأوربّيّة الأخرى وصار يعني: "مجموعة من الخطط والنظم القمينة بإشاعة النظام والسلام والسعادة، وبتطوّر البشريّة الفكريّ والأدبيّ. فيراد منها التعبير عن طراز العيش الّذي يسود مجتمعاً من المجتمعات ويقصد بها النظام الاجتماعيّ المتّبع، والذي يعين الإنسان على زيادة الناتج الثقافي، أي هويّة ذلك المجتمع. والمجتمع عبارة عن مجموعة منظَّمة من الأفراد، والحضارة مجموعة منظَّمة من الاستجابات الّتي تعلَّمها الأفراد وأصبحت من مميِّزات مجتمع معيّن .

إنّ الحضارة هي كيان ثقافي؛ ذلك أن القرى والأقاليم والمجموعات والقوميّات والمجموعات الدينيّة لها جميعها ثقافات متميِّزة، وهكذا فإنَّ الحضارات هي أعلى تجمُّع ثقافيّ للناس وأوسع مستوى للهويّة الثقافيّة للشعب ولا يسبقها إلاّ ما يميِّز البشر عن الأنواع الأخرى، وهي تحدَّد في آن معاً بالعناصر الموضوعيّة المشتركة، مثل اللغة والدين والتاريخ والعادات والمؤسَّسات، وبالتحديد الذاتيّ الذي يقوم به الشعب نفسه.

ب– عوامل قيام الحضارات: أهمّ العوامل التي تؤدي إلى قيام الحضارات:

الموقع الجغرافي الممتاز: مما يساعد على الاتصال بالجهات المجاورة.

الاستقرار: ويُقصد بالاستقرار عدم الانتقال من مكانٍ إلى آخر، ويُعدّ الاستقرار من العوامل الأساسيّة لتطوّر وازدهار الحضارات./المناخ الملائم والمتنوع والمعتدل./ خصوبة التربة الزراعية./ وفرة الموارد المائية كالأنهار./ وفرة الموارد المعدنية والزراعية / تطور القدرات البشرية والمهارات العقلية.

ج– مظاهر الحضارة: للحضارة عمومًا مظاهر تعرف بها منها: **المظهر السياسي:** ويبحث في هيكل الحكم، ونوع الحكومة، ملكية أم جمهورية، دستورية أم مطلقة. **والمظهر الاقتصادي:** ويبحث في موارد الثروة ووسائل الإنتاج الزراعي والصناعي، وتبادل المنتجات.**المظهر الاجتماعي:** ويبحث في تكون المجتمع ونظمه وحياة الأسرة، والمرأة، وطبقات المجتمع.**المظهر الفكري:** ويبحث في النتاج الفكري من فلسفة وعلم وأدب. **والديني:** ويبحث في المعتقدات الدينية، والعبادات، وعلاقة الإنسان ونظرية الكون والحياة. والفني: ويبحث في الفن المعماري والنحت والرسم والموسيقى. وغيرها.

د–تقسيم الحضارات: هناك من قسم حضارات العالم إلى تسع حضارات تميزت بنفوذها الثقافي، منها:**الحضارة الغربيّة:** هي الحضارة التي تتميز بثقافتها المسيحيّة الغربيّة بشكليها الكاثوليكيّة والبروتستانيّة، حيث تمتد هذه الحضارة من دول أوروبا الغربيّة إلى دول البلطيق وأمريكا، وأستراليا، ونيوزيلندا، وتقوم الحضارة الغربيّة على أساسين ومصدرين هما الحضارة الرومانيّة واليونانيّة، والديانة المسيحيّة، كما تُحدّد الحضارة الغربيّة بثلاث نزعات رئيسيّة وهي الديانة المسيحيّة. والقانون الروماني، والنزعة الإنسانيّة في الفلسفة اليونانيّة **الحضارة الأمريكيّة اللاتينيّة:** وهي الحضارة التي تستخدم اللغات الرومانسيّة، خصوصاً كل من اللغة الفرنسيّة، والإسبانيّة، والبرتغاليّة بنسبٍ مختلفة، كما أنّ الديانة الرومانيّة الكاثوليكيّة هي الديانة المسيطرة في هذه الحضارة. **الحضارة اليابانيّة:** وهي الحضارة التي يعتبرها الباحثون واحدة من الحضارات المختلفة والمميزة؛ ولعل السبب في ذلك يعود إلى خصوصيّة الثقافة اليابانيّة كجزء أساسي من

حضارة الشرق الأقصى. **الحضارة الصينيّة:** والتي يعتبرها الباحثون حضارة فريدة ومميزة، وهي تعتمد بشكل أساسي على الفلسفة الكونفشيوسيّة.**الحضارة الهنديّة:** وهي الحضارة القائمة بشكلٍ أساسي على التعاليم الهندوسيّة، وتعتبر واحدة من أقدم الحضارات الموجودة في عالمنا الحالي. **الحضارة الإسلاميّة:**وهي الحضارة التي تمتد في العديد من البلدان، والتي لها صلة تاريخيّة وحضاريّة واجتماعيّة مع الإسلام بشكلٍ أساسي، وتمتد هذه الحضارة في مناطق الشرق الأوسط، وشمال أفريقيا، وآسيا الوسطى، وباكستان، وبنغلادش، وإندونيسيا، وماليزيا، كما أنّ هذه الحضارة تنفرد بخصوصيّة ثقافيّة أساسها تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، ومن اللغات الموجودة في هذه الحضارة هي اللغة العربيّة، والفارسيّة، والتركيّة، والماليزيّة. **الحضارة الإفريقيّة:** حيث تمتد هذه الحضارة إلى أفريقيا جنوب الصحراء **الحضارة البوذيّة:** وهي الحضارة التي ترتكز بشكلٍ أساسي على التعاليم البوذيّة .